فهذا كله يحملنا على ان ننظر في سير غيرنا لنعلم كيف وصلوا الي السيادة على غيرهم فاذا رأيناهم وصلوا بالعمل لا بالقول ورجعنا الى ديننا فوجدناه قائماً على رؤوسنا ينادينا بقوله (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) استحينا وخجلنا وقلنا ما كان اجدرنا بان يعمل كل منا بما هو ميسر له وما كان اولانا بالجد وترك الهزل وما احقنا بالنظر الى الغايات دون النظر في تحقيق العبارات

واني ارى من الواجب على حضرة الباحث وهو اعلم منا بمعاهد التربية ودروس الآداب ان يبدأ بتأليف جمعية من الشبان ان كان شاباً ومن الكهول ومن الشيوخ ان كان شيخاً فنذهب الى تلك الدروس ونتلقى من الآداب ما يعيد الى الامة ما فقدته من دينها ويحيي فيها ما اماتته التقاليد من عقائدها وعليه ان يعلن ذلك فاكون اول الساعين معه اليها وأنا في انتظار ذلك ان شاء الله

ح ع

باب التربية والتعليم

﴿ القسم الثاني من خطبتنا في التربية ﴾

وأما تربية الاطفال العملية * فهي التربية النافعة الحقيقية * وبها تناط سعادة الامة والبلاد * اذا هي سارت على نهج الحكمة والرشاد * لنا من نفوس هؤلاء الاطفال ألواح صقلية قابلة لكل نقش * ومن أدمغتهم قراطيس بيضاء نظيفة مستعدة لكل رسم * فعلينا ان ننقش فيها آيات الحكمة والفضيلة * ونرسم فيها تعليم المبادئ التي تؤدي الى الغايات الجليلة * علينا ان نعودهم على الصدق في القول والعمل * وعلو الهمة واطراح الاهمال والكسل * الى غير ذلك من الاعمال النافعة * والخصال الرافعة * لتنطبع في نفوسهم الملكات

الشريفة على الوجه الذي بيناه اولا * تقرؤن في الجرائد الاسلامية * وتسمعون في المجامع الدينية * ان نجاح المسلمين * لا يكون الا بالرجوع الى تعليم الدين * وان المدارس الاميرية * قد نسخت الدين ومسخت التربية * والمدارس الاهلية تحذو حذوها * وتقتفي اثرها * فماذا نعمل ؟ وكيف السبيل الى بلوغ المأمل * وهذه المدارس لا غناء عنها * لان الموظفين لا يكونون الا منها * ؛ وتعليم الازهر مقصور على كتب مخصوصة * قصاراها فهم احكامها المنصوصة * لا تجمع بين الدنيا والدين * كما هو الواجب على المسلمين * يسهل على الغني منا ان يتخذ لاولاده استاذاً مخصوصاً يعلمهم الدين ولكن هل يكفي هذا لحصول الغرض الذي نبتغيه ؟ كلا لا بد من تعميم التعليم * ولا بد من التربية بالعمل * أما تعميم التعليم على المنهاج الديني فلا بد له من تأليف الجمعيات الاسلامية * وها انتم أولاء قد بدأتم بهذا العمل الشريف فأنشئت فيكم جمعيتان احداهما هذه (مكارم الاخلاق التي كنا نخطب فيها) والثانية جمعية شمس الاسلام * أما شمس الاسلام فقد شرعت بالتربية والتعليم بالفعل .... واما هذه الجمعية فانها لتنتظر من حميتكم الملية * وغيرتكم القومية * ان تمدوها بالمساعدة المالية * للقيام بتحصيل هذه الامنية * وكأني بالدعاء وقد اجيب * وبالعمل قد ظهر عن قريب * وأما التربية العملية فهي الركن الاول * وعليها الاعتماد والمعوّل * ولكن أنى لنا بمن يحسنها ويقوم بها ؟ كتبت في مقالة انا اذا نظرنا في ضعفنا وبحثنا في علاجه نرى اننا في حاجة الى اشياء كثيرة واذا ارتقينا في الاسباب ننتهي الى شيء واحد اذا وجد اوجد كل شيء ألا وهو الرجال العارفون بطرق المعالجة معرفة صحيحة تبعث على العمل . اذا كنا نرى الاساتذة والمعلمين لا يحسنون التربية التي بها نرجو الحياة السعيدة فمن عساه

فينا يحسنها . ان فاقد الشيء لا يعطيه . ولولا ان فينا بعض قوم من العارفين نرجو ان يزهق حقهم الاباطيل ويمحو نورهم هذه الظلمات ـ لغلب الخوف على الرجاء واستحوذ اليأس على الامل

مالا يدرك كله لا يترك قله . فعلينا ان نوجه العناية التامة الى تربية ابنائنا وبناتنا بكل ما في استطاعتنا . البحث في هذه التربية طويل الذيل . متدفق السيل . وانما وقفت لأبين بالاختصار ما يجب ان نتوجه اليه ومتى صح القصد وصدق العزم نهتدي الى سواء السبيل فالعمل بعد العلم والعلم يقوّم العمل . ولكن لابد من تنبيه وجيز يسهل على كل احد تعقله والاخذ به . اهم شيء انبه اخواني عليه ان التربية لا تكون بالقول بل بالمعاملة . لو كان الانسان يتربى ببيان الرذائل له وقولنا له اتركها وسرد الفضائل له وقولنا له الزمها ـ لكان الاجدر بها العقلاء الكبار دون الاطفال الصغار لان الكبير اوعى للقول وافهم للخطاب . لا يكاد احد من الجماهير المجترحين للسيئات لاسيما الكبائر يجهل انها محرمات . وما عساه يوجد من جاهل بها فحسبه ان يعلم معظمها في حضور مثل هذا الاجتماع . وانما التربية المثلى تكون بالمعاملة الحسنى فاذا اردت ان يكون وليدك او تلميذك صادقا مثلا فعامله بالصدق وحل بينه وبين الكاذبين لاسيما من اخدانه واترابه فان الصغير يقلد كل ما رآه ويقتبس من كل من عاشره وتكيف نفسه بكل ما يرد عليها من اي طريق جاء . سبحان الله ! ما اشد غفلتنا يكذب احدنا على ولده من اول النشأة بالقول والفعل ولا يمنعه من معاشرة الكاذبين والمجرمين فتنطبع في نفسه ملكة الكذب حتى اذا ماشب ورأى والده مضرة ذلك ومعرّته فيه قال يا بني لا تكذب فان الكذب حرام فأنّى تمحو هذه الكلمة ما رسخ في نفسه بكرور السنين وصار صفة من صفاته ؛ ان فشوّ وباء الرذائل جعل التربية عسيرة على العارف بها والبصير بدقائقها فكيف حال الغافل الجاهل ؛ ربما يتيسر للغبي حجب ولده عن قرناء السوء من اترابه وان ينتقى له اصدقاء مهذبين

ويتخذ له ولهم في داره من الالاعيب والالاهي مافيه غنية عن الرياضة في خارج الدار ولكن أنى يتسنى للفقير مثل ذلك . لايزيل هذه العقاب والعواثير من طريق التربية الا العزيمة الصادقة المنبثة عن العلم بان بوجود هذه التربية حياتنا وبفقدها موتنا وهلاكنا

جماع مايؤخذ به في تربية الاولاد (١) المنع عن قرناء السوء فان الولد يستفيد من مثله اكثر مما يستفيد من أبيه وأمه لان افكار تربه في درجة افكاره ورغباته من جنس رغباته واعماله من قبيل اعماله و (٢) الحيلولة بينه وبين كل مايضره الاطلاع عليه أو التلبس به في جسده أو عقله ونفسه ولكن من حيث لايشعر اذ أحب شيء الى الانسان مامنع منه والمحبوب مطلوب والنهي عنه اغراء به و (٣) ان يحمل على كل مايطلب منه بالعمل وان يكون الباعث له على العمل التشبه والاقتداء ولذلك كان بعض شيوخ الصوفية يرتاض مع مريديه حتى كأنه سالك مثلهم و (٤) ان يرجح الترغيب على الترهيب . هذا مايجب ان نأخذه بقوة واجتهاد « وما أريكم الا ماأرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » اه

هذا ملخص الخطبة وقد كتبت منها اكثر جملها وتركت بعضها عمداً لكونها جاءت في المنار من قبل أو لعدم فائدتها وما كتبته فهو قريب مما قلته في اللفظ والفحوى . ومن عادة الرئيس ان يتعقب كل خطيب بكلام يثني عليه به ويلم بمعنى ماتكلم به اجمالا . وقد جاء في تعقيبه اياي بكلمات أبان فيها عن ارتياب في كون الاولاد يقتبسون العادات والاخلاق من معاشريهم وحصر ذلك في الآباء مستدلا بالقول المشهور (الولد سر أبيه) وصرح بانه يكتفى في تربية الولد التربية الصالحة ان يرى أباه يعمل الصالحات . وهذه غفلة من حضرة الاخ الفاضل الشيخ زكي الدين عن الوجود لاننا نرى اكثر أولاد الصالحين فساقا لاشتغالهم بأنفسهم عن تربية أولادهم ومن الامثال المشهورة في هذا (خبث الرجل الصالح في منبته) وهو تعليل شعري والعلة الصحيحة هي عدم التربية الصحيحة . أما قول (الولد سر أبيه) فهو اشارة الى الوراثة وللوراثة أثر لاينكر في الاستعداد والقابلية ولكن الاعتماد على التربية فهي التي لايغلب سلطانها وليست التربية الا العملية كما قلنا . وألم أيضاً بما قلته من ان المرأة يثقل على طبعها ان يحملها الرجل على مايريده بالقود والالزام وان الاولى ان يأخذها بالرفق واللين وسبق الى فهمه ان هذا مناف أو مناقض لقولي ينبغي لمن يحاول تربية نفسه ان يستعين على ذلك ببعض اخ و

واصدقائه بأن يجعله مسيطراً عليه ومنتقداً له يذكّره الى نسي ما التزمه من ترك المنكر وعمل المعروف ويعاتبه بل ويؤنّبه اذا هو نقض العهد عمداً. وصرحت حضرته في التعقيب بأنه كيف يثقل على المرأة اشراف زوجها عليها بالامر والنهي من سماء السلطة ولا يثقل على الرجل مثل ذلك من صديقه وليس له عليه من السلطة مثلما للرجل على المرأة ؟؟ والجواب عن هذا ظاهر من وجوه احدها ان مايكون من الصديق لصديقه لا استعلاء فيه لانهما كفؤان فلا يثقل على النفس . (ثانيهما) اننا قلنا ان ذلك ينبغي ان يكون بالمواطأة بينهما وانه هو الذي يجعل صديقه رقيباً عليه ومهيمناً على اعماله ومن يثقل عليه هذا لا يأتيه . واذا وجدت امرأة عاقلة تواطأت مع زوجها على ان يؤنّبها اذا هي قصرت بما يطلب منها فيكون حكمها حكم الصديق (ثالثها) ان النساء اسرع من الرجال انفعالا وأقل منهم احتمالا ولذلك شبههن النبي صلى الله عليه وسلم بالقوارير . ولو انه ذاكرنا في المسألتين قبل ان ينتقد لانجلت الحقيقة ويمكنه بعد ذلك ايضاحها للجمهور ولكنه تعجل في بيان ما اعتقده عملا بأثر (خير البر عاجله) وحيث القى الكلام للجمهور اضطررنا ان نبينه لهم بهذه الكلمات لئلا تكون الشبهة علقت ببعض الاذهان فتصد اصحابها على العمل الذي حملناهم عليه . ولم نشأ ان نتعقبه بالقول في محل رآسته أدبا معه ولئلا نحفظ قلبه . فان وداد مثله من الفضلاء نعده من اعلاق الذخائر

اذا تأمل هذا الذي لم يفهموا قولنا الذي نكرره دائما « ان العلم اليقيني الذي يمتزج بالنفس هو الذي يحملها على العمل جزما » يتجلى لهم السبب في عدم عمل الناس بالنصائح التي يسمعونها . فانها اذا كانت مجملة كاتحدوا واتفقوا واتركوا المحرمات وتمسكوا بالصالحات ـ لا ترشد سامعها الى مايجب ان يعمله واذا كانت مفصلة يعرض للتفصيل مثل هذه الشبه التي عرضت لرجل من أمثل وعاظنا . فما بالك بالشبه العامة التي ذهبت بالجزم على الوعيد من النفوس كقول بعض العلماء يجوز ان يخلف الله تعالى وعيده وكالاعتقاد بالمكفرات والشفاعات الخ ما بيناه في مقالة (تأثير العلم بالعمل) وعسى ان يحمل حضرة الفاضل الشيخ زكي الدين كلامنا على الاخلاص فيتلقاه بالقبول فالحكمة ضالة المؤمن والعصمة في تبليغ الحق انما هي للانبياء دون سائر البشر والسلام